
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

المرابطة والصلاح في الأطلس الكبير الشرقي
- الزاوية العياشية -

نفيسة الذهبي

نشير في البداية إلى أننا لا نقصد بهذا العنوان تحديد مفاهيم المرابطة والصلاح[1] بقدر ما نسعى إلى التعريف ببعض جوانب الحياة الثقافية في هذا الجبل من خلال نشاط الزاوية العياشية التي لا شك أن صداها كان ملأ السمع والبصر في المغرب، بل وصل إلى جل أنحاء العالم الإسلامي كما لا نشك بأن الحديث عن مؤسسة الزاوية يقتضي طرح العديد من التساؤلات المرتبطة بالإطار، والهيكلة، وعوامل التطور، ونوع العلاقات ... إلى غير ذلك من الجوانب التي نخص نحن منها ما يبرز دور زاوية جبلية ويتلاءم مع طبيعة موضوع الندوة. وقد اخترنا في استقراء تاريخ الزاوية الانطلاق من التعريف بالبيئة الجبلية كمقر، وأيضا الروابط القبلية كمجال وقاعدة بشرية، ونميز في عنصر آخر طبيعة الصلاح عند شيوخها المؤسسين في محاولة فهم الأدوات التي تحكم العلاقة بين الزاوية والمجتمع. أما الإشارات الأخيرة -والتي نعتبرها أساسية- فنخصصها للإنتاج الفكري الذي خلفه العياشيون، والذي ساهم في المحافظة على ذاكرة هذا الجبل وذلك من خلال نموذجين.

تقع الزاوية العياشية أو زاوية سيدي حمزة - كما تسمى اليوم- جنوبي مدينة ميدلت، على ضفاف أحد روافد نهر زيز الذي يحمل اسمها. وهي تنحصر بكتل جبلية تمثلها من الشمال الغربي المرتفعات الجنوبية لجبل العياشي ويمتاز هذا القسم من الأطلس الكبير بشدة الارتفاع، وبوجود قمم حادة، قليلة الفجاج الشيء الذي جعل الممرات الطبيعة نادرة إذا استثنينا الممرين اللذين يربطان بين تافيلالت والمناطق الشمالية وهما:

1. طريق زيز عبر ممر تلغمت - وهو المستغل حتى الآن-.

---

(1) من الدراسات المجدة حول تحديد المفاهيم يراجع :
حجي - الزاوية الدلائية ، دورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية الرباط ، 1964.
الشاذلي - التصوف والمجتمع، الدار البيضاء 1992.

2. طريق غـريس الذي يصل عـبـر زيز الأعلى إلى ملوية وهو طريق أقل ارتيـادا، وأكـثـر خطورة وقد استـغله السـلاطين في حـركاتهم بالمنطقـة فـتطلب ذلك وجـود أبراج، ومحطات للحراسة كما تدل بقايا الآثار. كما تواجه الزاوية في جنوبها الغربي قمة جبل أفداي[1] وتبـرز هاته الطبـيـعـة خـصـوصـيـات المقـر وانفـتـاحـه على الجـهـات الجنوبـيـة، والجنوبيـة الشـرقيـة حيث توجـد خطوط العـبـور الرئيـسـيـة ويتـأكد الارتبـاط مع منطقـتي تافيلالت ودرعة.

كما أن الكتلة الصخرية الشمالية هي التي وفرت الثروة المائية، ثلوج، ومياه جوفية تكون خزانات تغذي مجموعـة من العيـون وتتحكم في حمولة الأودية واتجاهاتها وهي أساس حياة السكان وسقي المزروعـات فضلا عن إضفـاء نوع من الرونق على منظر هذا القصر[2].

نستنتج من هذا الوصف أنها مثلت منطقة استقبال للهجرات الوافدة من المناطق الصحراوية، أو حتى من المناطق القريبة وتعوزنا بخصوص الاحتمال الأول أمثلة واضحة للاستدلال ما عـدا ما يمكن إدراكه عند الحديث عن جد الأسرة المرابطة الذي قـدم من حجيج عبـر درعـة ليصل إلى الجبل مـستقر أبنائه وأجداده[3]. أما من المناطق القريـبـة فنعـتـمد مـثال نزوح قبيلة آيت عيـاش نحو هذا الجبل بعد أن اضطرت إلى مغـادرة قصر آيت يعقوب الذي كانت تستوطنه أمـام انتـصـارات قبـيلة آيت حديدو، وسيـطرتها على

---

(1) بين قدم جبل العياشي وقمة جبل أفداي توجد هضبة واسعة هي التي حوصر بها عبد المومن بن علي وهو في طريقه لفتح المنطقة وتعقب قوات المرابطين، وتشير الروايات إلى أنه استفاد من الهضبة الواقعة إلى اليمين من قدم جبل العياشي بعد أن أشار عليه الأهالي بالاحتماء بها نظرا لصعوبة المرور إليها فيما عدا الممر الغربي الذي عبرت منه قواته وقد قاد منها مقاومته وظلت تحمل اسمه.

(2) اعتمدنا في الوصف الطبيعي على مقالتين كتبا في العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن. ورغم غلبة الأسلوب الصحفي، وسياق المعلومات في شكل مبسط يهدف إلى تعريف القراء بالمنطقة فإننا لم نستطع أن نتجاوزهما لعدم توفرنا على دراسة مغربية حديثة للمقارنة والمقاربة، كما أننا نعتبر جانب الوصف الطبيعي مفيدا دون أن نغفل كونهما - كمالات ، سمات، ومستوى البحث في تلك المرحلة.

(3) Dailier " La Zaouia de Sidi Hamza", R. G. M. XVI année- Juin 1932, p.p. 95-102.

المنطقة[1] وينصب اهتمامنا على قبيلة آيت عياش التي لعبت الدور الأساسي في تاريخ الأسرة والزاوية. وكانت في هذا التاريخ (ق 11هـ / 17م) طرفا في اللعب القبلي الذي ضم آيت حديدو وآيت زدك وهو صلب آيت يافلمان الذي دعت إليه المعالم المشتركة في فترة الاضطرابات وتوزع السلط.

فإذا اعتمدنا سياق المعلومات الواردة في كتاب الإحياء والانتعاش نلاحظ أن هاته القبائل في الظرفية المشار إليها مثلت مجتمعا بدويا أمحت فيه العصبيات وروعيت قواعد المصلحة المشتركة فهو يصف قصر تزروفت - وهو المقر الذي ستنشأ فيه الزاوية- قائلا: «فقد كانت تزرفت في ذلك الزمان قرى متعددة من قبائل شتى؛ بعضهم من زمور، وبعضهم من أشقر، وبعضهم من خنق ملوان، وبعضهم من ترد، وبعضهم من أزرفين، وبعضهم من آيت إلياس، وبعضهم من آيت سادن، وبعضهم من آيت عياش، وبعضهم إسلاميون، وكل قبيلة منفردة بقرية، واتفقوا على إقامة الجمعة في قرية واحدة، كما اتفقوا على بناء مخزن جماعي»[2].

يمكن أن نستنطق هذا النص في باب معرفة القاعدة البشرية، والمجال الذي سوف يتعزز بالنفوذ الروحي والمركز التعليمي الذي ستخلقه الزاوية بعد تأسيسها سنة 1044هـ / 34 - 1635م. كما يمكننا أن نعتمده لمعرفة ظروف المنطقة وما ساد من صراعات جعلت سكانها يؤمنون غذاءهم إلى جانب إفصاحه عن وجود مقومات الاقتصاد الفلاحي، فهناك زراعة، وحبوب تذخر، ونستطيع أن نتمم صورة الاقتصاد التقليدي بإشارة لاحقة إلى نشاط الرعي الذي يخضع لنمط الجبل. فالعياشيون «يخرجون في وقت

Lesur "Notes sur la Zaouia de Sidi Hamza", B. S. G. M. Tome II(1) 1920 3Tr, p.p. 141-147.

(2) تورد رواية مؤلف الإحياء والانتعاش أن عبد الله بن عبد الرحمان الجد الأعلى للأسرة قدم من موطنه الأصلي وهو قصر ولتدغير بفيجيج -بخصوص هذا القصر يمكن الاستفادة من دراسة الأستاذ: أحمد مزيان. مساهمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن 19م "فيجيج" ج1 و 4 -وأنه وصل إلى منطقة درعة حيث استقر بالغزلان وحقق مكانة لا بأس بها فقد اشتغل بتعليم القرآن قبل أن ينزعج ويغادرها أمام مضايقات متكررة جعلته يقصد جبل درن ويستوطن خنق ملوان إلى آخر حياته.

الربيع مع أهل البلد بخيامهم يسرحون غنمهم ويرجعون في الشتاء إلى ديارهم»[1].

كما وردت إشارة خاصة بوجود الحرف وخاصة في قصر يعقوب.

الواضح أن هاته الملامح لا تكفي بشكل من الأشكال للحديث عن اقتصاد قبائل المنطقة بما يرضي فضول التساؤلات ولكنها تقربنا من السؤال الأساسي بخصوص إمكانيات الأسرة المرابطة والمؤسسة للزاوية ضمن هذا النسق من الانتاج والعلاقات إذ نلاحظ أن رجالها الأوائل كونوا قاعدة بشرية ومادية لا بأس بها، وأن تأسيس الزاوية سيكون نوعا من الترسيخ لعلاقات أقدم.

وأول ما يطالعنا من ذلك أن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمان عندما استقر بقصر آيت يعقوب بدأ بمصاهرة آيت عياش أي أنه اندمج قبليا قبل أن يقلد وظائف المسجد وتعليم الصبيان، وهي وظائف ظلت من نصيب أبنائه وأحفاده في مختلف القصور التي حلوا بها. كما أن يوسف هو الذي اشتهر بنسبته إليهم[2] أما ابنه محمد فهو الذي عاصر مرحلة ابتعاد آيت عياش عن هذا القصر، وهو الذي توقف بتزرفت ونال بها الحظوة والاحترام ونحن لا نستطيع ضبط تاريخ هذا النزوح إلا أننا نرجح مرحلة ضعف الحكم المركزي قبل استتباب الأمر للسعديين إذ يتعلق الأمر بالجد الرابع لأبي سالم العياشي وتاريخ ولادة هذا الأخير هو سنة 1037هـ / 1628م. وبذلك يمكن اعتبار النصف الأول من القرن 10هـ / 16م كمرحلة استقرار الأسرة في مقرها الجديد وفي كنف آيت عياش أما بالنسبة للقاعدة المادية فيظهر أنها تزامنت مع فترة نشاط الشيخ المؤسس فهو لم ينشأ في أسرة موسرة بل كان يستحضر بعلمه (المتواضع) في القرى المجاورة بسبب ضيق عيشهم في تزرفت ثم قرر الابتعاد عن والده في اتجاه قصر آيت يعقوب (جنوب غرب الزاوية) حيث قضى مدة عشر سنين، وهو عقد حقق خلاله

---

(1) امتدت سيطرت آيت حديدو على عدة قصور أقربها إلى الزاوية قصر تنغريفت الذي يبعد بحوالي خمسة أو ستة كيلومترات غربا. أما قصر آيت يعقوب فقد كان في هذه المرحلة حصينا، عامرا، وهو قاعدة آيت يدرسن ومقر أهل الرحب والغنائم وبه ينزل عامل المخزن. انظر : - العياشي الإحياء والانتعاش ص 10 .

(2) ع. العياشي . الإحياء والانتعاش ص . 10 - 11 .

حضورا، وسمعة، وارتبط بعلاقات واسعة : «فقد عم صيته ... وأقبلت الزوار من كل فج عميق يتبركون برؤيته ودعائه ...»[1] ويمكن أن تنسحب الملاحظة التي يحملها هذا النصف علي باقي القصور التي جمعته بأهلها علاقات المحاصرة، والنسب، وملكية الأراضي،وبناء الدور والمساجد أحيانا وأهم القرى التي كانت له بها أملاك هي؛ آيت يعقوب، ترمجت، سيدي حند ثم تزرفت. والاشارة إلى أملاكه دليل على مكانة اجتماعية خاصة، وعلى بداية ثروة سوف تزداد مع ظهور بوادر مشيخته وكثرة الهبات والهدايا الممنوحة لزاويته إذ «كانت تجبى إليهم ثمرات كل شيء على يد القبائل من النساء والرجال»[2].

وأقدم إشارة نعتمدها تعود إلى سنة 1040 هـ / 30 - 1631م أي قبل تأسيس الزاوية بأربع سنوات فبعد رجوعه من الحج «كثر عليه الواردون، واتسع الخير، وزادت العمارة، والموضع لا يتسع ذلك فانتقل إلى موضع أسلافه وأجداده في تزرفت وأسس مسكنه هذا على التقى»[3]. فإذا أضفنا أن الشيخ تزوج من عدة أسر وقبائل فكانت له سبع نساء وإحدى عشر ولدا ثم اعتبرنا نسبه الزوار ونوعية الخدمات التطوعية، وطلب البركة مع بروز سمات الصلاح نستطيع أن نتكلم على توفر ما يمكن الاصطلاح عليه بأسس المشروعية على الأقل من ناحية جدلية العلاقة بين الشيخ والمجتمع أما من ناحية الذوق والممارسة والسلوك الصوفي فسنراه في النقطة الموالية.

II الشيخ المؤسس محمد بن أبي بكر العياشي ت سنة 1067 / 1656م

ولد الشيخ محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمان سنة 981هـ / 73 - 1574م[4]. ونشأ في أسرة لها اهتمامات علمية واضحة رغم مواردها المتواضعة. فالأطفال يبدأون بحفظ القرآن والمبادئ اللغوية،

(1) نفس المصدر ص 1 .

(2) عرفوا قبل ذلك بآيت عبو، وآيت عبد المومن، وآيت سيدي يوسف.

(3) ع. العياشي الإحياء والانتعاش ص. 16.

(4) نفس المصدر السابق . ص. 27.

ثم يرحلون إلى الصحراء - بطريقة التناوب - للأخذ على شيوخه في مرحلة ثانية[1] وفي درعة سمع الشيخ محمد بن أبي بكر على شيخه أحمد إذ قال الدرعي السوساني (ت 1023هـ / 1614م) وهو لقاء أثر في تكوينه وتوجيهه لما عرف به الشيخ إذ قال من حرص على إفادة طلبته ومريديه ومن شغف بالرحلة وجمع الكتب كما يظهر في سياق الروايات أنه لاحظ نزوع الشيخ محمد بن أبي بكر الصوفي منذ وقت مبكر، ونقف أيضا عند ملازمته لشيوخ الزاوية الدلائية وتتلمذه بالخصوص للشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي وهو الذي أشار عليه بتأسيس زاوية يطعم فيها الطعام وتتلى فيها آيات الله، وتقوم بنشر العلم والإرشاد في المنطقة.

ويظهر أن الشيخ وقف في تحقيق هذه الغايات فالإطعام[2] كان تقليدا معروفا باعتبار علاقاته حتى قبل تأسيس الزاوية ونلاحظ ذلك في كثرة إعداد الزوار الذين لم يستطع تدبير أمر إطعامهم أحيانا. أما التدريس فقد تصدر له زهاء ربع قرن من الزمن واشتغل بالخصوص بكتب التصوف؛ مؤلفات الشيخ أحمد زروق، أحزاب الإمام الشاذلي

---

(1) نفس المصد والصفحة.

(2) اعتمدنا في سياق المعلومات الخاصة بالأسرة على كتاب عبد الله بن عمر بن عبد الكريم العياشي المتوفى سنة 1137هـ / 1724م "الإحياء والانتعا في تراجم سادات زاوية آيت عياش؛ وهو يعتمد أسلوب المشابهة في المراحل البعيدة زمنيا إلا أننا نعتبره رواية جديرة بالعناية والمقارنة مع مؤلفات أخرى لقراءة كثير من أحوال وتاريخ المنطقة كما أنه مصدر وحيد بالنسبة لما يهم الأسرة. توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة زاوية سيدي حمزة كما توجد نسخة مصورة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1344د. ورجعنا إليه أيضا في تتبع هذا النسب ص. 12

عبد الله بن عبد الرحمان

يوسف

محمد

موسى

يوسف

عمر لحسن محمد أبو بكر

الحسين عبد الله محمد يوسف عبد الجبار

عبد المومن أبو بكر عبد العالي عمر عبد الرحمان عبد الله (أبو سالم) عبد الخالق

عبد الكريم أحمد محمد يوسف

كما أنه في نفس الوقت كان يعمل على ترسيخ قواعد اللغة العربية في مجتمعات بربرية وبذلك ورغم المستوى البسيط الذي بدا به استطاع أن يخلق شكلا من الروابط الثقافية مع مجموعات التلاميذ والمنتسبين والخدام والزوار، كما أنه حرص على توفير أسس العمل التربوي والإرشاد الديني فنراه يسهر على توسيع المسجد الذي لم يعد يستوعب المصلين والطلبة، كما يوقف مع أخيه عبد الجبار كتبهما على بنيهما الذكور ويسجلها هذا الوقف في وثيقة كتبت على الصفحة الأولى من المخطوط رقم 517 بالزاوية وذلك سنة 1058هـ / 48 - 1649م (بعد 15 سنة من تأسيس الزاوية) وبذلك وضعا أول لبنة لتأسيس خزانة تضاهي أكبر الخزانات المعروفة آنذاك، وخلقا تقليدا كانت له فوائد التجهيز على العمل وظهرت نتائجه في تكوين أبنائهما وأحفادهم بالخصوص.

أما عن سمات الصلاح التي لا شك أن شيخه الدلائي شاهد منها ما جعله مقتنعا بأنه تهيأ للمشيخة وأصبح قادرا على القيام بهذا الدور. وهنا نحيل بشأن الصفات التي أسهبت المصادر العياشية في التعبير عنها[1]. لنقف على توفر الشروط المطلوبة في المشيخة، فمحمد بن أبي بكر سلك طريق التصوف، واكتسب الذوق بفضل ميوله وأخلاقه وزهده واستقامته، وأيضا عن طريق التربية والأخذ والسماع، والرحلة، والخدمة. كما أن الممارسة الفعلية أكدت ميله الواضح إلى الاعتدال، والتواضع في خدمة المريدين، والعمل على تنظيم أمور العبادة والتربية معا. ولا شك أنها صفات ساهمت في بلورة العلاقة بين الزاوية ومجتمعها، وفي تمييز طبيعة الصلاح الذي يمكن وصفه بالتزام السنة، واتباع النهج الشاذلي. ، وإذا كنا لا نعرف الأذكار أو الوظائف المعينة بالزاوية العياشية، فإننا لا نشك بأنها استلهمت من نصوص الزاوية الدلائية. أما عن الاعتدال والنزوع الشاذلي فهو ما أكدته بالخصوص كتابات أبي سالم العياشي في أكثر من مناسبة.

ولابد أن نقف هنا على أننا أمام زاوية فرع، زاوية ارتبطت بالزاوية الدلائية

(1) بعد رجوع محمد بن أبي بكر من الصحراء خلفه أخوه يوسف الذي بقي بها مدة 24 سنة وكان من أصحاب أحمد بن أبي محلي، ثم لحق به أخوه عبد الجبار. وسيعتمد محمد بن أبي بكر نفس الأسلوب في تعليم أبنائه وقد فقد أكبرهم وهو عبد المومن أثناء تعلمه في الصحراء.

تلقينا وسلوكا وسندا ومصيرا أيضا فقد كانت ضمن مجال نفوذها الشيء الذي جعلها تتعرض لأنواع من المضايقات من قبل السلطان العلوي المولى الرشيد سنة 1079هـ / 1669م بعد تحطيم الزاوية الدلائية وانهزام قادتها[1]. ورغم أنها أزمة انتهت بنوع من الانفراج إذ لم تتعرض الزاوية لنفس المصير وانتهى الأمر بموافقة المولى إسماعيل على رجوعهم من منفاهم بفاس إلى ديارهم في مستهل سنة 1083هـ / 72 - 1673م بعد أن قضوا في فاس سنة كاملة اعتبرت محنة حقيقية للأسرة إلا أنها تبحث على العديد من التساؤلات التي تهم عدم تورطهم سياسيا، ومواقف السلطة من الزوايا، واعتبار ظروف التأسيس لدولة ناشئة إلا أننا نهتم بجانب واحد وهو ربطها بطبيعة رجال الزاوية الذين انصرفوا إلى الدور الديني والعلمي وخاصة الشيخ عبد الجبار بن أبي بكر العياشي الذي خلف أخاه في رئاسة الزاوية ثم أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر الذي عمل على تطوير الزاوية وأعطاها نفسا علميا جديدا جعل المنطقة - رغم عزلتها الجغرافية- منفتحة على عالم واسع مرتبطة بعلاقات متنوعة وعلى طول مرحلة مشيخته ومشيخة ابنه سيدي حمزة غدت الزاوية قبلة ومقصدا للزوار والطلبة وأيضا للعلماء الذين جاءوا من درعة وسوس وفاس للأخذ والانتساخ والاستفادة من مدخرات الخزانة. لكل ذلك نقف في هذا التحليل عند حدود اقتران الصلاح بالعلم كأسباب أساسية لما حققته الزاوية من إشعاع، وخدمة لمجتمع الجبل، ومحافظته على عوامل الاستمرار.

ونختم بقراءة سريعة في :

III بعض النماذج من الإنتاج الفكري:

من الواضح أن استعراض هذا الجانب يتطلب وقفة طويلة وقراءات لا تتأتى في هذا المقام، غير أن المحور جدير بالإشارات ولو في شكل إيحاءات تأملية نظرا للتأشير الإيجابي الذي خلفته مؤلفات أبناء الزاوية في المنطقة الجبلية وفي غيرها.

---

(1) إطعام الطعام هو تقليد معروف التزمت به الزوايا حتى صار عند العامة كأنه من الفروض أو الشروط.

والملاحظة المشار إليها وردت ضمن الحديث عن كرامات الشيخ . انظر <u>الإحياء والانتعاش</u> ص 20 .

النموذج الأول : كتابات أبي سلم العياشي (ت 1090هـ / 1679م)

- كتابات زاخرة بالمعلومات الوصفية التربوية، وبأشكال التلقين والمشاركة.

- معبرة عن المساهمة الفعلية في تنظيم المجتمع الجبلي في خدمة أبنائه.

- تؤكد اندماج رجال الزاوية في مجتمعات بدوية وحضرية.

- نرى من خلالها رجالا ينطلق من تكوين أساسي في هذا الجبل فيحقق حضورا ويبرهن عن إمكانيات المؤسسات المغربية في تكوين الطلبة والأساتذة.

- تساهم في تقريب صورة العمل الفردي في خدمة العام سواء من خلال المواعظ والسهر على محاربة أنواع الفتنة (1)، أو من حيث تكريس الجهود لتطوير الوعي الديني والعلمي عن طريق التأليف، وتزويد المكتبة بأحدث ما أنتجه الفكر الإسلامي.

- تشهد بإقباله الكبير على الكتابة والانتساخ فقد عمر 54 سنة خلف خلالها تراثا دالا على قناعات معينة.

النموذج الثاني: رسالة محمد بن محمد بن عبد الجبار العياشي (ت 1091هـ / 1680م)

وهي رسالة بعث بها إلى خاله أبي سالم وهو مجاور بالحرمين الشريفين يوجد نصها الكامل ضمن كتاب الإحياء والانتعاش ص 247 وما بعدها

- عنوانها : "دمعة المشتاق لبعض ما وقع في المغرب عام اثنين وسبعين من الجوع والشقاق".

بناها على مقدمة وخاتمة بينهما بابان الأول في الجوع وفيه مقدمة وثلاثة فصول والثاني في الشقاق وفيه فصلان.

- تؤرخ هذه الرسالة لقساوة المجاعة التي عرفها المغرب بين سنة 1071 / 1072.

---

(1) يمكن الرجوع بشأن صفات الشيخ وخلقه إلى :

- أ - العياشي اقتفاء الآخر، وسيلة التعريف بأئمة الطريق ....

- ع - العياشي الإحياء والانتعاش ص 22 - 23 - 24 .

- تعتبر من النصوص الدقيقة لو صعب تطور الأزمة سواء في الجبل (الذي يسمى بمنطقة الوسط) (1) أو في باقي الجهات.

- تعطينا فكرة عن نسبة الوفيات التي كانت أكثر في فاس ثم بعدها منطقة الأزغار وزاوية الدلاء فقرى الجبل.

- تقدم وصفا لما رافق هذه الأزمة الطبيعية من لصوصية ونهب وحروب وانقطاع سبل فضلا عن انقطاع الدروس ومجالس الدراسة.

والرسالة عموما صورة ناطقة بمعاناة كاتبها، حاملة لتفاصيل دقيقة، ومعلومات لا يستغني عنها الباحث في تاريخ المغرب الحديث.

وقد نخلص - من تمثل اثار هذا الرصيد المعرفي إلى القول بأن أمامنا صورة من صور الزوايا في المغرب وهي صورة لن تكتمل إلا في إطار مونوغرافيات متعددة في مجال البادية الجبلية.

---

(1) مثلت قبائل الأطلس الكبير الشرقي منطقة حيوية على الطريق المؤدية إلى الصحراء وهو مجال امتداد أرض الزاوية الدلائية الحدود نريس. ويظهر أن هذا الولاء كان قويا إذ تشبث هذه القبائل بولائها واستمر في عهد المولى إسماعيل عندما ساندت انتفاضة أحمد بن عبد الله الدلائي سنة 1088هـ / 77 - 1678م. وربما وجود هذه النظرة القبلية وإحساس المولى رشيد بخطرها كانا من الحواجز التي جعلته يعزم في البداية على محاربة العياشيين ونهبهم لما بلغه عنهم. ولكنه اكتفى في الأخير بنشر حيلهم إلى فاس مستهل 1082 / 1672م) وظل رافضا لكل التدخلات بشأن العفو عنهم. وقد عاشت مستهل خطبة ابن سالم العياشي بمسجد الزاوية يوم الجمعة الأخير من محرم 1083هـ / 72 - 1673م) حيث قال : «الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور».